



وقائع مؤتمرات جامعة سبها
Sebha University Conference Proceedings

Conference Proceeding homepage: <http://www.sebhau.edu.ly/journal/CAS>



الاتساق والانسجام في سورة الأعلى

الجايير موسى الجايير بالفقيرة

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة سبها، ليبيا

الكلمات المفتاحية:

لسانيات النص
معايير النصية
الاتساق
الانسجام
علم المناسبات
سورة الأعلى.

الملخص

تستعرض الدراسة مفهومي الاتساق والانسجام في ضوء نظرية لسانيات النص، محاولة تطبيق هذين المفهومين في سورة الأعلى، وتهدف إلى معرفة مدى صلاحية إجراءات لسانيات النص للتطبيق في القرآن الكريم وفهمه، ومدى ملاءمة هذه الإجراءات للفكر اللغوي في التراث العربي، وإلى اكتشاف كيفية تماسك سورة الأعلى وتربطها من الناحية اللغوية والدلالية، وتنتهج الدراسة التحليل النصي لبيان ذلك، فبعد التعريف النظري بلسانيات النص وبالانسجام والاتساق، حاولت الدراسة تطبيق الاتساق - متمثلاً في الإحالة - والانسجام - متمثلاً في العلاقات والمناسبات - في سورة الأعلى، وقد خلصت إلى أنه من الممكن الاستفادة من إجراءات لسانيات النص في فهم القرآن الكريم، وأن هذه الإجراءات ملائمة للفكر اللغوي في التراث العربي وبخاصة علم المناسبات، وتوصلت إلى أن سورة الأعلى نص متماسك مترابط كالكلمة الواحدة. وبذلك، فإن هذه الدراسة تمهد الطريق أمام الاستفادة من سائر إجراءات لسانيات النص وغيرها من النظريات اللغوية الحديثة.

Cohesion and Coherence in Surat Al-A'la

Aljayir mousay Aljayir Bilfaqirah

Department of Arabic language-Sebha University, Libya

Keywords:

Text Linguistics
Standards of Textuality
Cohesion
Coherence
'ilm Al-Munāsabāt
Surat Al-A'la.

ABSTRACT

This study examines the concepts of cohesion and coherence in light of text linguistics, with the aim of applying these concepts to Sūrat Al-A'la. It seeks to determine the extent to which text linguistic procedures can be employed in understanding the Qur'an, their alignment with the linguistic thought in the Arab scholarly tradition, and how Sūrat Al-A'la achieves linguistic and semantic unity. Adopting a textual analysis approach, the study begins with a theoretical overview of text linguistics, cohesion, and coherence. Subsequently, it applies cohesion —exemplified by reference— and coherence —exemplified by various relations and correspondences— to Sūrat Al-A'la. The findings reveal that text linguistic procedures can indeed be utilized to enhance comprehension of the Qur'an and that these procedures are compatible with Arab linguistic heritage, especially the discipline known as 'ilm Al-Munāsabāt (the science of textual connections). The study concludes that Sūrat Al-A'la is a tightly bound, interconnected text, functioning much like a single, unified unit. Consequently, this research paves the way for the incorporation of other text-linguistic approaches and modern linguistic theories in Qur'anic studies.

المقدمة:

تتمثل أهمية الدراسة في جانبين:
الجانب الأول: ما لمجال لسانيات النص من جدة، إذ تحاول الدراسة مواكبة
ركب التطور في علم اللسانيات باختيارها هذا الموضوع في مجال حديث نسبياً.
الجانب الثاني: تطبيق إجراءات علم لسانيات النص في القرآن الكريم،
فالدراسة تختبر مدى صلاحية إجراءات علم اللغة الحديث للتطبيق في القرآن
الكريم ومدى قدرتها على سبر عميق معانيه.
الأهداف:

الحمد لله نعم المعتمد، والصلاة والسلام علي الرسول النبي الأمي محمد،
وعلى كل من كان لله بالتوحيد ولمحمد بالرسالة يشهد.
وبعد، هذه ورقة بحثية مقدمة لمؤتمر جامعة سبها للدراسات العليا بدورته
التاسعة، تتناول مفهومي الاتساق والانسجام من لسانيات النص، محاولة
تطبيقهما، من خلال الإحالة والمناسبات على الترتيب، في القرآن الكريم في
سورة الأعلى.
أهمية الدراسة:

*Corresponding author:

E-mail addresses: jair.mohammed@sebhau.edu.ly

Article History : Received 01 January 2025 - Received in revised form 15 April 2025 - Accepted 24 May 2025

والمصاحبة اللفظية في سورتي الملك والأعلى، مع محاولة اكتشاف التناسق بين السورتين.

وقد اختلفت هذه الورقة عن الدراسات السابقة. أما اختلافها عن الدراستين الأوليين فيبين، لأهمها تناولتا الاتساق والانسجام في سورة البقرة وسورة الكهف على الترتيب، وهذه الورقة تناولتهما في سورة الأعلى، مع اختصار واختلاف في العرض.

وأما اختلافها عن الدراسة الثالثة، فكان لأن الدراسة الثالثة تطرقت إلى جانب من جوانب الاتساق هو الاتساق المعجمي، فرغم اشتراكهما في اختيار سورة الأعلى موضوعاً فإن الورقة التي نحن بصددتها ستبحث الاتساق في السورة من جانب الإحالة لا من جانب الاتساق المعجمي، وستزيد على ذلك ببحث الاسجام في السورة.

خطة البحث:

سيسير البحث بانتهاج هذه الخطة:

- المبحث الأول: التعريف بلسانيات النص وبمعايير النصية وبالانسجام والانسجام، وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: التعريف بلسانيات النص.
- المطلب الثاني: معايير النصية.
- المطلب الثالث: الاتساق والانسجام.
- المبحث الثاني: الاتساق والانسجام في سورة الأعلى، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: الاتساق في سورة الأعلى (الإحالة).
- المطلب الثاني: الانسجام في سورة الأعلى (العلاقات والمناسبات).
- الخاتمة: وفيها أبرز النتائج وأهم التوصيات.

مصطلحات البحث:

هذه أهم المصطلحات الواردة في البحث مع تعريف بها مختصر:

- لسانيات النص: علم من فروع اللسانيات يهتم بدراسة النص دراسة علمية بصفته الوحدة الفعلية في التواصل الطبيعي.
- معايير النصية: سبعة حدود وضعها منظرو لسانيات النص يكون بها النص نصاً وتتحقق بها نصيته.
- الاتساق: أول معايير النصية، وهو التماسك الظاهري السطحي بين أجزاء النص.
- الانسجام: ثاني معايير النصية، وهو الترابط الدلالي العميق داخل النص.
- علم المناسبات: علم من علوم القرآن في التراث العربي، يهتم بدراسة ترابط آيات القرآن وسوره بعضها ببعض.

المبحث الأول: التعريف بلسانيات النص وبمعايير النصية وبالانسجام والانسجام:

المطلب الأول: التعريف بلسانيات النص:

لقد حظيت اللغة باهتمام الحضارات البشرية على مر العصور، ليس ابتداءً بالحضارة الإغريقية، مروراً بالحضارة العربية الإسلامية، انتهاءً بالنهضة العلمية الحديثة التي شهدتها أوروبا.

فكان نتاج هذا الاهتمام علم ظهر في بدايات القرن العشرين سُمي علم اللسانيات Linguistics، وهو علم يهتم بوصف اللغة البشرية ودراستها دراسة علمية وفق مناهج البحث العلمي، لفهم ماهيتها وخصائصها ووظائفها...

ومن مراحل تطور هذا العلم مرحلة تُعرف بلسانيات النص Text Linguistics، ظهرت إرصاصاتها بعد منتصف القرن العشرين، وهو مجال يقصد إلى دراسة

من أهم ما تقصد الدراسة إلى تحقيقه:

- 1- دراسة مفهومي الاتساق والانسجام في إطار نظرية لسانيات النص.
- 2- رؤية كيفية تحقق هذين المفهومين في سورة الأعلى وإسهامهما في تماسكها وترابطها.
- 3- محاولة إعطاء تصور عن مدى ملاءمة مجال لسانيات النص للتراث العربي.

إشكالية البحث:

تركز الإشكالية التي يدور حولها البحث في هذه الأسئلة:

هل يمكن إجراء أدوات علم اللغة الحديث، متمثلة في الاتساق والانسجام، في القرآن الكريم؟

إلى أي مدى يسهم الاتساق والانسجام في إبراز ترابط سورة الأعلى؟

هل يمكن ربط علم المناسبات في التراث العربي بلسانيات النص؟

وسيحاول الباحث الإجابة عن الإشكالية المطروحة بهذه الورقة.

أسباب اختيار الموضوع:

- 1- الرغبة في التعرف إلى النظريات اللغوية الحديثة.
- 2- اكتشاف كيفية ترابط السورة القرآنية وتمامها.
- 3- محاولة التعرف إلى الفكر اللساني في التراث العربي.
- 4- إثراء المكتبة المحلية بدراسة -ولو صغيرة- في مجال لسانيات النص.

كلمة شكر:

يتوجه الباحث بالشكر إلى اللجان المنظمة لمؤتمر جامعة سبها للدراسات العليا، لهم العرفان منا على جهودهم في النهوض بالبحث العلمي والبحوث في الجامعة.

ويثني بالشكر إلى الأساتذة الأجلاء أساتذة قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة سبها، راجياً من الله أن يجعلهم ممن طال عمره وحسن عمله.

ولا ينسى أن يقدم جزيل الشكر لكل يد أعانته، عسى الله أن يجازيهم ويزيدهم من فضله.

ويختم بشكر والده ووالدته، من كانا له العقل والقلب، رب ارحمهما كما ربياني صغيراً، وخالص الامتنان للبعيد عني القريب مني.

ولله الحمد أولاً وآخراً.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات التي تناولت ظاهرة الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، منها:

- 1- دراسة بعنوان: الاتساق والانسجام في القرآن، إعداد مفتاح بن عروس، رسالة دكتوراه بجامعة الجزائر 2007/2008. استعرضت نظرية لسانيات النص مركزة على مفهومي الاتساق والانسجام، وقد طبقت ذلك في سورة البقرة مع الاستئناس بأراء المفسرين.

- 2- دراسة بعنوان: الاتساق والانسجام في سورة الكهف، إعداد محمود بوسنة، رسالة ماجستير بجامعة الحاج لخضر باتنة 2008/2009. حاولت اكتشاف التماسك والترابط في سورة الكهف من خلال نظرية لسانيات النص، مطبقة الاتساق والانسجام في السورة مع الربط بجهود العرب المتقدمين.

- 3- دراسة بعنوان: الاتساق المعجمي في سورتي الملك الأعلى، إعداد عبد الرحمن البلوشي وجاسم علي جاسم، بحث مقدم لمجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية العدد الخامس سبتمبر 2014. ناقش مفهوم الاتساق المعجمي في ضوء لسانيات النص، مبطفاً أدوات التكرار والتضام

7. الإعلامية: وهي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية أو الوقائع في عالم نصي في مقابلة البدائل الممكنة⁶.
ومن هذه المعايير ما يتصل باللغة في النص اتصالا مباشرا: الاتساق والانسجام، ومنها ما يتصل بمنتج النص ومتلقيه: القصدية والمقبولية والإعلامية، ومنها ما يتصل بظروف إنشاء النص: الموقفية والتناسق، ولكل معيار من هذه المعايير أدوات أو آليات يتحقق بها في النص، مما يؤدي إلى إنتاج نص كامل النصية.

سنتناول في المطلب التالي أول معيارين من معايير النصية، وهما الاتساق والانسجام، من حيث مفهوماهما والأدوات والآليات التي يتحققان بها في النص.

المطلب الثالث: الاتساق والانسجام:

لعل أبرز ما يلاحظ في أي استعمال لغوي هو ترابطه وتماسكه، بحيث يكون المتلقي قادرا على الفهم دون عرقلة، وهذا الترابط أو التماسك في الاستعمال اللغوي ينتج من الاتساق والانسجام.

أولا: الاتساق:

أ- تعريف الاتساق:

قبل الخوض في تعريف مفهوم الاتساق في لسانيات النص، لا مانع من النظر في المعنى اللغوي لكلمة الاتساق التي تُرجم بها المصطلح الإنجليزي Cohesion⁷. الاتساق في اللغة من الأصل الثلاثي: و-س-ق، ويدور حول الجمع والضم، جاء في أساس البلاغة: "كل شيء جمعته وحملته فقد وسقته. والراعي يَسُقُ الإبلَ حتى استوسقت: اجتمعت. ومن المجاز: اتسَقَ القمرُ. واتسَقَ أمرُهُ واستوسق"⁸، وهذا قريب من المعنى الاصطلاحي الذي سنعرضه.

الاتساق هو أول معيار من معايير النصية، ويُعرف اصطلاحا بأنه: "ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"⁹، فالالاتساق يكون في البنية السطحية الظاهرية في النص، ويربط عنصرا في جملة بعنصر آخر في جملة أخرى أو يربط جملة بجملة، وينطلق المحلل لاتساق النص "متدرجا من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالبا) حتى نهايته، راصدا الضمائر والإشارات المحيلة إحالة قبلية أو بعدية، مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف، والاستبدال، والحذف، والمقارنة والاستدراك..."¹⁰، فالالاتساق يتحقق في النص بوسائل نحوية ومعجمية تسمى أدوات الاتساق.

ب- أدوات الاتساق:

وهي أدوات لغوية ظاهرة على سطح النص تصل بين أجزائه محافظة على الاستمرارية فيه، ومن أهمها:

● الاتساق النحوي، ويشمل:

1- الإحالة.

2- الاستبدال.

3- الحذف.

4- الربط (الوصل/العطف).

● الاتساق المعجمي.

● الاتساق الصوتي.

على أن أي عنصر ظاهري في النص يحافظ على الاستمرارية يمكن عده من أدوات الاتساق.

ونظرا لضيق المقام، ولما كانت الإحالة هي ما سُوِّط في السورة موضوع

النص (الخطاب) بصفته الوحدة اللغوية الكبرى في التواصل.

ويتكون مصطلح لسانيات النص من كلمتين، فأما اللسانيات فهي: "الدراسة العلمية للغة"¹، وأما النص فهو: "أي فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها شريطة أن تكون وحدة متكاملة"²، وبناء على هذا يمكن تعريف لسانيات النص بأنه: "ذلك الفرع من فروع علم اللغة [اللسانيات]، الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله، وأنواعه، والإحالة أو المرجعية، وأنواعها، والسياق النصي، ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل). وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء"³.

إن ظهور مجال لسانيات النص، بصفته مرحلة من مراحل تطور علم اللسانيات، كان لأسباب لعل أبرزها:

1. أن التواصل الفعلي باللغة لا يكون عن طريق كلمات معزولة أو جمل وعبارات مستقلة، إنما يكون بإنجازات كلامية أكبر وأوسع هي النصوص.
2. أن بعض الوحدات اللغوية (الضمائر والمشيرات والروابط...) لا يمكن دراستها وفهم أداؤها لوظيفتها إذا توقفت الدراسة اللغوية عند حدود الجملة.
3. أن الجملة قد نالت كفايتها من دراسة جميع نواحيها وحن الوقت لدراسة ظواهر لغوية أخرى⁴.

كان هذا تعريفا موجزا بلسانيات النص من ناحية المفهوم وأسباب الظهور، ذلك المجال الذي يتخذ من النص موضوعا له، محاولا دراسته باعتباره الوحدة الفعلية في التواصل البشري.

ولكن، ما الذي يجعل النص نصا؟

المطلب الثاني: معايير النصية:

بعد هذا العرض الموجز لمجال لسانيات النص، يمكن أن نسأل: ما الذي يجعل النص نصا؟ وللإجابة على هذا السؤال وضع منظرو لسانيات النص مصطلح النصية Textuality، ويمكن تعريفه بأبسط صورة بأنه: ما يكون به النص نصا، أو ما يميز النص من "الانص"، وقد حدد منظرو لسانيات النص للنصية سبعة معايير، يقول دي بوغراندي (أحد منظري لسانيات النص): "وأما أن يمكن أو لا يمكن لشيء أن يُعد نصا فذلك يتوقف على مراعاة هذه المعايير"⁵، وهذه المعايير هي:

1. السبك [الاتساق]: وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط.
2. الالتحام [الانسجام]: وهو يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه.
3. القصد [القصدية]: وهو يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام وإن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها.
4. القبول [المقبولية]: وهو يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام.
5. رعاية الموقف [الموقفية/السياق]: وهي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه.
6. التناسق: وهو يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بواسطة أو بغير واسطة.

الإحالة، في لسانيات النص، يُعنى بها أن يطلب عنصر في النص عنصرا آخر يعود عليه، سواء أكان الأخير مذكورا في النص أم خارجه في السياق، ويُسمى الأول محيلا والثاني محالا إليه، والعناصر المحيلة ليس لها دلالة مستقلة في النص بل "تجبر المستمع/القارئ على البحث في مكان آخر عن معناها"¹¹، ومما يُشترط في الإحالة "وجوب تحقق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه"¹².

وتنقسم الإحالة إلى مقامية ونصية، فالإحالة المقامية يعود فيها المحيل على محال إليه خارجي غير مذكور في النص، فهي بذلك تربط النص بسياقه وموقفه لكنها لا تسهم في اتساقه، وأما النصية فيعود فيها المحيل على محال إليه مذكور في النص، فتسهم في ترابط النص واتساقه.

والإحالة النصية تنقسم بدورها إلى قبلية وبعديّة، فالقبلية ما عاد المحيل على محال إليه سابق، ومثال لها أن تقول: "رأيتُ رجلا فسلمتُ عليه"; فالضمير في "عليه" عاد على محال إليه سابق هو "رجلا"، والبعديّة ما عاد المحيل إلى محال إليه لاحق، ومثال لها أن تقول: "رأه الناس جميعا، كان الهلال واضحا في السماء"، فالضمير في "رأه" يعود على لاحق هو "الهلال".

ومما تتحقق به الإحالة في اللغة العربية الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة والتعريف بعد التنكير.

كان هذا عرضا مختصرا لمفهوم الاتساق وأهم أدواته، والآن سننتقل إلى عرض صنوه في تحقيق ترابط النص، ألا وهو الانسجام.

ثانياً: الانسجام:

أ- تعريف الانسجام:

قبل التعريف بمعيار الانسجام في لسانيات النص، لا بأس من عرض للمعنى اللغوي لكلمة الانسجام التي تُرجم بها المصطلح الإنجليزي Coherence¹³.

الانسجام في اللغة من المادة الثلاثية س-ج-م، ويعني السكب باتصال، قال صاحب الأساس: "دمع ساجم ومسجوم ومنسجم، ودموع سَواجم، وعيون سَواجم، وسَجَمَت العَيْنُ دمعَهَا سَجْمًا، وسَجَمَ الدمعُ سُجُوماً. ومن المجاز: مطر وسحاب ساجم وسجام [...] وأرض مسجومة: ممطورة. وناقاة سَجُوم ومسْجَام: دُزُور، وقد سَجَمَتْ"¹⁴، فمعنى الانسجام لغة هو الانصباب والسيلان باستمرار واتصال، وهذا يوحي بالمعنى الاصطلاحي للمعيار.

ومن ناحية لسانيات النص، فإن الانسجام هو ثاني معايير النصية بعد الاتساق، ويُعرف بأنه: "ما تنطوي عليه تشكيلة المفاهيم والعلاقات من تواصل ووثاق صلة متبادلين"¹⁵، وإذا كان الاتساق يتجلى في البنية السطحية (الظاهرية) للنص فإن الانسجام يكون في البنية العميقة (الخفية) منه، فهو مبني على الترابط الدلالي والمفهومي داخل النص، إضافة إلى أن "الانسجام أعم من الاتساق، كما أنه يغدو أعمق منه"¹⁶، فقد يكون نص غير متسق ظاهريا لكن لا يكون البتة نص غير منسجم، لأن أي نص قابل للفهم والتأويل هو نص منسجم.

وكما كانت للاتساق أدوات يتحقق بها في النص، فإن للانسجام آليات يرتبط بها النص دلاليا ومفهوميا.

ب- آليات الانسجام:

إن آليات الانسجام أشد عمقا وتعقيدا من أدوات الاتساق، فهي لا تقف عند حدود اللغة كما في الاتساق الظاهري، بل تنطلق منها إلى مستويات أخرى، فالانسجام "يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط

المفهومي واسترجاعه، وتشتمل وسائل [الانسجام] على (1) العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص (2) معلومات عن تنظيم الأحداث والإعمال والموضوعات والمواقف (3) السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية. ويتدعم [الانسجام] بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم"¹⁷، وبناء على هذا فإن آليات الانسجام تتداخل في مجالات منها: علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والفلسفة، علاوة على علم اللغة¹⁸.

ولعل من أهم وأبرز الآليات التي يكون بها النص ذا انسجام:

• السياق.

• العلاقات الدلالية والمنطقية.

ولنا أن نضيف إليها:

• علم المناسبات.

وعلة هذه الإضافة أن علم المناسبات علم تراثي من علوم القرآن يُنظر فيه إلى التناسب بين أجزاء السورة الواحدة وبين السورة والسورة، وهو يشتمل على مراعاة السياق والعلاقات المنطقية.

ولأن الكلام يطول في تفصيل آليات الانسجام، ولما كان علم المناسبات هو ما سُوِّط في السورة موضوع الدراسة للبحث عن الانسجام، فإنه هو ما سنفرده بشيء من التفصيل.

ج- من آليات الانسجام: علم المناسبات:

أفرد عدد من المفسرين وعلماء علوم القرآن مصنفات في مجال يهتم بعلائق أجزاء القرآن بعضها ببعض، هذا المجال هو علم المناسبات، ويُعرف بأنه: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء [القرآن الكريم]، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال، وتتوقف الإحالة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها"¹⁹، وفائدة هذا العلم "جعل أجزاء الكلام بعضها أخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء"²⁰، فيتجلى الترابط والتعلق بين آيات القرآن وسوره حتى يصير "كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني"²¹.

ويدرس هذا العلم التناسب في القرآن من ناحيتين:

- الناحية الأولى: التناسب في السورة الواحدة، وذلك بالمناسبة بين آيات السورة أو بين فاتحة السورة وخاتمتها.

- الناحية الثانية: التناسب بين السور، وذلك بالمناسبة بين فاتحة سورة وخاتمة ما قبلها أو بمناسبة مضمون سورة لما قبلها²².

كان هذا عرضا مختصرا لمفهوم الانسجام في لسانيات النص وأهم آلياته.

وهذا ينتهي هذا المبحث النظري الذي تطرقنا فيه إلى التعريف بمجال لسانيات النص ومعايير النصية ومعيار الاتساق والانسجام، وسننتقل إلى تطبيق هذين المعيارين في سورة الإعلى في المبحث التالي.

المبحث الثاني: الاتساق والانسجام في سورة الإعلى:

تمهيد:

قبل البحث عن مظاهر الاتساق وملامح الانسجام في سورة الإعلى، سنوجز هنا تعريفا بالسورة ولعله يكون مفيدا للدخول في التطبيق.

سورة الإعلى، تُسمى بهذا الاسم لورود صفة الإعلى فيها دون غيرها، وسُميت سورة "سَبَّح"، لاختصاصها بالابتداء بالأمر بالسبَّح.

ناسب ذلك أن يُبشّر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بأن الله -المتصف بتلك الصفات- سيقرئه القرآن ويتكفل له بحفظه، فلن ينسى إلا ما شاء الله له أن ينساه، وأن الله سيسر له الشريعة السمحة التي ينزلها عليه لتبليغها.

ج- الأمر بالتبليغ وبيان حال المبلّغين (الآيات 9-15): وعد الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- بحفظ الرسالة له وتيسيرها عليه، فناسب بعد هذا التطمين أن يأمره بتبليغ ما أوحى إليه للناس ما دام احتمال -ولو قليلا- أن تنفع الذكرى، ثم بين الله -تعالى- من سيتذكر ومن سيرض، مع ذكر حال المعرض في الآخرة تفصيلا منه، وذكر حال المتذكر في الدنيا المفلح ترغيبا للاقتداء به.

د- تأكيد فضل الآخرة ووحدة الرسالات (الآيات 16-19): لما ذُكر حال المبلّغين من متذكر ومعرض، اختتمت السورة بتوبيخ المعرضين عن الذكرى بأنهم يختصون الحياة الدنيا باهتمامهم، والحال أن الآخرة هي الخير وهي الباقية، ولا عجب في أن يأتيهم رسول وذكرى فإن هذا معلوم من قبلُ بالأنبياء السابقين وصحفهم الأولى.

بهذا نرى كيف كانت أجزاء السورة آخذا بعضها بأعناق بعض.

ثانيا: ترابط فاتحة السورة بخاتمها:

افتتحت السورة -كما ذكر- بالأمر بتزئيه الله الخالق المدبر عن كل نقص، فهو المنفرد بالخلق والتسوية والتقدير والهداية، المختار المتصرف في خلقه ينقله من حال إلى الضد ومن عدم إلى حياة إلى موت إلى نشور، واختتمت بتقريع المعرضين عن الآخرة أنها خير وأبقى وأن هذا ما جاء به المرسلون في رسالة واحدة بتوحيد الله واتباع أوامره واجتناب نواهيه.

فكانت المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمها الحض والتحريض على الانقياد لله وتمجيده بذكره وطاعته والتفكر في عظمته، وطلب ما عنده لأن ما عنده هو الخير وهو الباقي.

فكانت السورة بذلك كدفتي كتاب تنضم خاتمها إلى فاتحتها.

ثالثا: ترابط سورة الأعلى بالسورة التي قبلها والتي بعدها:

جاءت سورة الأعلى في المصحف السابعة بعد الثمانين، بين الطارق والغاشية. أما ترابطها بسورة الطارق، فقد اختتمت سورة الطارق بالتأكيد على أن القرآن من عند الله وأن المشركين يكيدون ويكيد الله، وأمر الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- أن يمهلمهم، فكان افتتاح سورة الأعلى بالأمر بتزئيه الله وتمجيده ملائما لخواتيم سورة الطارق، لأن الله المدبر الأعلى الخالق المسوي المقدر الهادي هو الحقيق أن يُركن إليه ويؤتمن به، فإنه ما أمهل الكافرين إلا ليؤخذهم أخذ عزيز مقتدر، وما أرسل الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالقرآن والإسلام إلا ليُسّر له التبليغ وأداء الرسالة.

أما عن ترابطها بسورة الغاشية، فإن سورة الغاشية تتحدث عن يوم القيامة وحال الفريقين فيه فريق المدكرين وفريق المعرضين، ثم تبين قدرة الله على البعث، وتنتهي بأمر للرسول -صلى الله عليه وسلم- بالتبليغ وأن الحساب على الله، فكان هذا تفصيلا لما اختتمت به سورة الأعلى من ذكر للآخرة، وتبيننا لما جاء فيها موجزا من ذكر حال فريق المبلّغين يوم القيامة، وتكرارا للإشارة إلى حقيقة البعث وللأمر بالتذكير.²⁶

فتتجلى بهذا سورة الأعلى مع ما قبلها وما بعدها وحدة متعلقة مترابطة. حاولنا في هذا البحث التطبيقي تحري الاتساق والانسجام في سورة الأعلى، ورأينا كيف أسهم هذان المعياران -متمثلا الاتساق في الإحالة والانسجام في العلاقات والمناسبات- كيف أسهما في ترابط السورة وتماسكها، ظاهرا من حيث سطح اللغة وباطنا من حيث عمقها.

آياتها تسع عشرة آية باتفاق، وهي مكية كلها على رأي الجمهور، معدودة في النزول السابعة أو الثامنة، نزلت بعد التكوير وقبل الليل، وفي ترتيب المصحف هي السابعة والثمانون، بعد الطارق قبل الغاشية.

تضمنت الأمر بتزئيه الله المنفرد بخلق الإنسان وتيسير له كل سبل بقائه وارتفاعه، وأن الله منزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- كتابا ومعطيه شريعة سمحة، ينقاد لها من يخشى ربه ويعرض عنها من أثر الدنيا على الخلود، وأن الموحى به إليه تصدقه الكتب الأولى، تأييدا له وهموينا عليه.²³

وبعد هذا التعريف المختصر بالسورة، سنحاول الآن تطبيق الاتساق والانسجام فيها وفق ما عُرض في الجانب النظري.

المطلب الأول: الاتساق في سورة الأعلى (الإحالة):

إن الإحالة من أبرز مظاهر الاتساق في السورة إن لم تكن أبرزها، إذ ربطت، بمختلف أنواعها، بين أجزاء السورة محافظة على الاستمرارية فيها، ويمكن عرض أهم الإحالات في السورة مع أنواعها في هذا الجدول:

تعداد	المحيل	المحال إليه	نوع الإحالة
1.	"الذي"، الآية: 2، 3، 4.	"ربك"، الآية: 1.	إحالة قبلية باسم موصول.
2.	الهاء في "فجعله"، الآية: 5.	"المرعى"، الآية: 4.	إحالة قبلية بضمير.
3.	الهاء في "إنه"، الآية: 7.	"الله"، الآية: 7.	إحالة قبلية بضمير.
4.	الهاء في "ينتجها"، الآية: 11.	"الذكرى"، الآية: 9.	إحالة قبلية بضمير.
5.	الضمير المستتر في "يموت"، الآية: 13.	"الأشقى"، الآية: 11.	إحالة قبلية بضمير.
6.	الضمير المستتر في "ذُكر"، الآية: 15.	"من"، الآية: 14.	إحالة قبلية بضمير.
7.	"هذا"، الآية: 18.	الآيات: 14، 15، 16، 17. ²⁴	إحالة قبلية باسم إشارة.

رأينا من خلال هذا الجدول كيف أسهمت الإحالة، سواء أكانت بضمير أم باسم موصول أم باسم إشارة، في ربط أجزاء سورة الأعلى وآياتها بعضها ببعض، فكان كل منها يؤدي إلى الآخر، مكونة الاتساق الظاهري في السورة. وجددير بالملاحظة أن الإحالة السابعة في الجدول كانت إحالة موسعة، إذ أحال فيها اسم الإشارة "هذا" إلى مجموع آيات، ومما يلاحظ أيضا عدم ورود الإحالة البعدية في السورة.

وبعد عرض التماسك²⁵ الظاهري لسورة الأعلى عن طريق الاتساق، سنحاول في المطلب التالي تجلية الانسجام عن طريق بحث التعالق الخفي في السورة.

المطلب الثاني: الانسجام في سورة الأعلى (العلاقات والمناسبات):

إن الانسجام مبني على الترابط الدلالي أو المفهومي في النص، ويمكن بحث الانسجام في سورة الأعلى، على طريقة علم المناسبات، من ثلاث نواحي: ترابط أجزائها بعضها ببعض، ترابط فاتحتها بخاتمها، ترابطها بالسورة التي قبلها والتي بعدها.

أولا: ترابط أجزاء السورة بعضها ببعض:

يمكن تقسيم سورة الأعلى لبيان ترابطها إلى أربعة موضوعات:

أ- تزئيه الله وتسبيحه وذكر صفاته وأفعاله (الآيات 1-5): بدأت السورة بالأمر بتسبيح الله المتصف بصفة العلو عن كل نقص، وذكر لافراده بخلق كل المخلوقات وتسويتها في أحسن صورة وتقدير لها ما تحيا به وهدايتها لما فيه صلاح أمرها، وعرض لآية من آيات الله في الأفاق هي إخراج المرعى متاعا للناس وأنعامهم، ثم يحيله الله بقدرته إلى الضد فيكون هشما يابسا مسودا، تبينا لتمام التصرف وعظيم القدرة وحقيقة البعث.

ب- تطمين الرسول -صلى الله عليه وسلم- بحفظ القرآن والرسالة وتيسيرهما عليه (الآيات 6-8): لما استهلّت السورة بتمجيد الله وبيان عظمته وقدرته،

- 1- براون ويول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزيتوني ومنيرالتركي، المملكة العربية السعودية، مطابع جامعة الملك سعود، (د. ط)، 1418هـ (1997م).
- 2- البقاعي، برهان الدين: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، (د. ط)، 1404هـ (1984م).
- 3- خطابي، محمد: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991م.
- 4- دي بوجراند، روبرت: النص والخطاب والإجراء: تر: تمام حسان، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1418هـ (1998م).
- 5- دي بوغراند ودريسلر: مدخل إلى علم لغة النص، تر: إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، دار الكتاب، ط1، 1413هـ (1992م).
- 6- الزركشي، بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، تج: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الكتاب العربية، ط1، 1376هـ (1957م).
- 7- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو: أساس البلاغة، تج: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ (1998م).
- 8- الصبيحي، محمد الأخضر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم، (د. ط)، (د. ت).
- 9- ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، (د: ط)، 1984م.
- 10- عفيفي، أحمد: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2001.
- 11- علي يونس، محمد محمد: مدخل إلى اللسانيات، بنغازي، دار الكتاب الوطنية، ط1، 2004.
- 12- فان دايك، تيون: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، القاهرة، دار القاهرة للكتاب، ط1، 1421هـ (2001م).
- 13- الفقي، صبيح إبراهيم: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ (2000م).
- 14- مسلم، مصطفى: مباحث في التفسير الموضوعي، دمشق، دار القلم، ط3، 1421هـ (2000م).

- ⁸ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو: أساس البلاغة، تج: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ (1998م)، ج2، ص334.
- ⁹ خطابي، محمد: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991م، ص5.
- ¹⁰ خطابي، محمد: المرجع نفسه، ص5.
- ¹¹ براون ويول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزيتوني ومنيرالتركي، المملكة العربية السعودية، مطابع جامعة الملك سعود، (د. ط)، 1418هـ (1997م)، ص230.
- ¹² خطابي، محمد: لسانيات النص، ص17.
- ¹³ تُرجم للمصطلح الإنجليزي Coherence ترجمات أخرى، منها: الحيك، الالتحام، التماسك المعنوي، لكن الانسجام أشهرها.
- ¹⁴ الزمخشري: أساس البلاغة، ج1، ص440.

الخاتمة:

في ختام هذه الورقة، فقد حاول الباحث أن يدرس باختصار معيارين من معايير النصية في لسانيات النص، هما الاتساق والانسجام، مطبقاً إياهما في سورة الأعلى، معرّفًا قبل ذلك بمجال لسانيات النص ومعايير النصية. وقد توصل الباحث من خلال هذه الورقة إلى نتائج، ويوصي بتوصيات. أولاً: النتائج:

- 1- لسانيات النص مجال من المجالات الحديثة في علم اللغة وهو حقل خصب للدراسة تنظيراً وتطبيقاً، ويمكن الاستفادة من إجراءاته في قراءة القرآن الكريم وفهمه.
- 2- يُبرز معيار الاتساق والانسجام ترابط سورة الأعلى وتماسكها.
- 3- إن الإحالة من أهم أدوات الاتساق التي أسهمت في تحقيق التماسك الظاهري للسورة.
- 4- إن العلاقات والمناسبات من أهم آليات الانسجام التي تكشف الترابط الدلالي والمفهومي في السورة.
- 5- علم المناسبات من أظهر ما في التراث العربي دلالة على الفكر النصي لدى العرب.

ثانياً: التوصيات:

من أهم ما يوصي به الباحث:

- 1- دراسة الاتساق والانسجام بين أكثر من سورة من سور القرآن الكريم.
- 2- محاولة تطبيق معايير النصية الأخرى في القرآن الكريم.
- 3- الاستفادة من الفكر اللغوي في التراث العربي في مجال لسانيات النص، وبخاصة علم المناسبات.
- وفي النهاية، كانت هذه الورقة الجهد، فخطوه من نفسي ومن الشيطان، وصوابه إنما هو من عند الله، وهذا البحث قابل للتطوير والتوسعة، والله أسأل القبول والنعيم، آمين.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية قالون عن نافع.

- ¹ علي يونس، محمد محمد: مدخل إلى اللسانيات، بنغازي، دار الكتاب الوطنية، ط1، 2004، ص9.
- ² عفيفي، أحمد: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2001، ص22، نقلاً عن هاليداي ورقية حسن.
- ³ الفقي، صبيح إبراهيم: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ (2000م)، ج1، ص36.
- ⁴ يُنظر: الصبيحي، محمد الأخضر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم، (د. ط)، (د. ت)، ص64 وما بعدها.
- ⁵ دي بوجراند، روبرت: النص والخطاب والإجراء: تر: تمام حسان، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1418هـ (1998م)، ص106.
- ⁶ يُنظر: دي بوجراند: المرجع نفسه، ص103 وما بعدها.
- ⁷ يُذكر هنا أن المصطلح الإنجليزي Cohesion له ترجمات أخرى، منها: السبك، التضام، التماسك اللفظي، غير أن الاتساق أكثرها شيوعاً.

¹⁵ دي بوغراند ودريسلر: مدخل إلى علم لغة النص، تر: إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، دار الكتاب، ط 1، 1413 هـ (1992م)، ص 120.

¹⁶ خطابي، محمد: لسانيات النص، ص 5.

¹⁷ دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 103.

¹⁸ يُنظر في هذا: فان دايك، تيون: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، القاهرة، دار القاهرة للكتاب، ط 1، 1421 هـ (2001م).

¹⁹ البقاعي، برهان الدين: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، (د. ط)، 1404 هـ (1984م)، ج 1، ص 6.

²⁰ الزركشي، بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الكتاب العربية، ط 1، 1376 هـ (1957م)، ج 1، ص 36.

²¹ الزركشي، بدر الدين: المرجع نفسه، ج 1، ص 36.

²² يُنظر: مسلم، مصطفى: مباحث في التفسير الموضوعي، دمشق، دار القلم، ط 3، 1421 هـ (2000م)، ص 68 وما بعدها.

²³ يُنظر: ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، (د: ط)، 1984 م، ج 30، ص 271 وما بعدها.

²⁴ يُنظر: ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 30، ص 291.

²⁵

²⁶ يُنظر في تفسير سورة الأعلى:

أ- البقاعي، برهان الدين: نظم الدرر، ج 21، ص 387 وما بعدها.

ب- ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج 30، ص 271 وما بعدها.